والأسف والتظلم . وقام الزبيريون يصنّعون فى قصائدهم ما صنع هؤلاء سواء بسواء .

وهكذا رأينا أن هجاء الشيعة امتزج بالبكاء والحزن ، وأن شعر الخوارج ضجّ بالحماسة والفداء . وهؤلاء وهؤلاء ينكرون كثرة القتلى والظلم ، ويدعون إلى الزهد والإخلاص للمبادئ ، ويحاربون الرياء والنفاق ، ويهاجمون الإنفاق بغير عدل والإغداق بغير رحمة والتظاهر فى تقليد الأكاسرة والأباطرة ، فقال يحيى بنُ نوفل الحميرى فى سعيد بن راشد وقد ارتقى إلى الإمارة :

فواعجبا حتّى سعيد بن راشـــد له حاجبٌ فى الباب منْ دون حاجب

ويبدو أن الحنين إلى عيش الجاهلية والتقشف الذى كانوا فيه ، دفع الشعراء إلى استعادة ذلك الماضى اللامع ، والتقزز من هذا الحاضر المخزى حيث اندفع الخلفاء والولاة والقواد إلى ميادين جديدة فى البذخ والترف ، والسكوت عن الرشوة والظلم ، والركون إلى العمال الجهلاء الجبناء ، والقعود عن معاقبة الجباة المتعسفين فيقول الفرزدق شاكياً إلى الوليد بن عبد الملك :

أميرَ المؤمنين وأنتَ تشفى بعدْل يديك أدواء الصدُور
فكيفَ بعامل يسعى علينا يكلفنا الدراهمَ فى البدور[1]
وأنى بالدراهم وهىَ منـــا كرافع راحتيه إلى العبور[2]
إذا سقنا الفرائضَ لم يردها وصَدّ عن الشويهـــة والبعير
إذا وضَع السياطَ لنا نهـــارا أخذنا بالربا سرق الحرير[3]
فأدخلنـــا جهـــنم ما أخذنا من الأرباء من دُون الظهور

فهو يجبى كل شهر حتّى لم يبق عند الناس مال ، ويصدّ عن القليل فى شويهة أو بعير ، ويجلد منْ لا يذعن لأمره فيأخذهم بالربا ، ويدخلهم جهنم بسببه ، ولكنهم أطاعوا خوفاً على ظهورهم من السياط . ويقول الأخطل فى هجاء تميم العامرى ورهطه بنى العجلان :

---

(١) البدور : فى كل بدر ، أى كل شهر .
(٢) العبور : مطالعة البروج .
(٣) سرق : الشقة من الحرير .